مسافة منها ترين محفة الأرواح (بنات نعش الكبرى) بأقطابها الأربعة الساطعة . وعلى مقربة منها « الحيوانات الثلاثة » . والنجم الصغير المقابل للثالثة هو « السائق » ؛ وانظرى من حولها هذه النجوم الهاوية ، إنها النفوس التى لم يقبلها الخالق فى جنته . . . . وتحتها بقليل ترين « المشط » أو « الملوك الثلاثة » (الجوزاء) التى نستعين بها على معرفة الوقت . فيكفى ان القى عليها نظرة واحدة لاتأكد أن نصف الليل قدانقضى . وعلى مسافة منها للجنوب يلمع «جان دى ميلان » سراج الكواكب كلها (الشعرى اليمانيه) واليك الحكاية التى يرويها الرعاة عنها :

فى ذات ليلة دعيت الشعرى اليمانية و « الملوك الثلاثة » والثريا الى حفلة زواج احدى صديقاتها النجوم . فتقدمت الثريا رفيقتيها وانطلقت حتى استقرت فى أعالى طبقات الجو كما ترينها ؛ ولحق بها « الملوك الثلاثة » بطريق أدنى ؛ أما الكسول « جان دى ميلان » فقد أخره نومه عن اللحاق بها ، فاغتاظ ورماها بعصاه ليقفها فى مكانها . ولهذا يطلقون أحيانا اسم «جان دى ميلان» على « الملوك الثلاثة » :

ولكن أجمل النجوم وأكبرها قدرا « نجمة الراعى » التى تنير لنا الطريق فى الفجر عندما نخرج بالماشية الى المرعى ، وفى المساء عند ما نعود بها الى الحظيرة . ونسميها أيضا « ماغلون » وهى الجميلة التى تمشى دائما إثر « بيير دى بروفانس » (زحل) لتتزوج به كل سبع سنوات مرة واحدة .

ـ ماذا تقول ! وهل من زواج عند النجوم ؟

ـ نعم أيتها الآنسه

ولما أخذت أشرح لها محور هذا الزواج احسست بشىء ناعم يثقل على كتفى فى لطف ورقة ؛ فنظرت فأذا برأسها الناعس متكئا على ، واذا بشرائطه الحريرية وتخاريمه اللطيفة وشعره المجعد تلك بى الى ان بدأت الكواكب تصفر فى سمائها ، وأخذ ضوء الفجر ينبثق فى الافق البعيد ليمحو أثرها . اما انا فكنت أتأمل الفتاة النائمة بشىء من الحزن الخفيف . لا أفكر فى هدأة الليل وصفائه إلا بكل ما هو جميل وشريف . وعلى جوانبنا تتابع النجوم سيرها ببطء وسكوت كأنها قطيع من الغنم . وبين الفينة والفينة كنت أشعر ان ألطف وأجمل نجمة كانت قد أضلت الطريق فهبطت الى كتفى فنامت عليه بهدوء . . . .

كيفون (لبنان) محمد كرما

بلياس وملیزاند

للفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

اركل — من القادم ؟

جنفييف — انه بلياس وفى عينيه أثر البكاء

اركل — هذا أنت يابلياس ؟ اقترب منى حتى أراك فى النور

بلياس — تسلمت ياجدى رسالة من صديقى مارسيللوس فى الوقت الذى تسلمت فيه كتاب أخى . . . إن هذا الصديق العزيز على يعانى ألم الاحتضار . وهو يستقدمنى إليه ايرانى قبل أن يفارق العاجلة . ويقول فى رسالته إنه يعرف بالدقة اللحظة التى سيموت فيها ، وإنى أستطيع الوصول إليه قبل حلول تلك اللحظة إذا شئت . إنى ذاهب اليه فى الحال .

اركل — يجب عليك أن تنتظر قليلا ، على الرغم من ذلك إننا لاندرى ماذا تعده لنا عودة أخيك . ثم هل نسيت أن أباك ملقى على فراشه فى الغرفة التى فوقنا ، وقد شفه الداء وبراه السقم ؟ أليس من الجائز أن يكون أشد مرضا من صديقك ؟ ومن أولى برعايتك وعطفك ، الوالد أم الصديق ؟ (يخرج)

جنفييف — لاتنس أن تشعل المصباح الليلة يابلياس

« يخرجان متفرقين »

المنظر الثالث

(أمام القصر . تدخل جنفييف وملیزاند)

ملیزاند — ماهذا السكون المعتم الذى يخيم على الرياض ؟ إنه يدخل على النفس الرهبة والاكتئاب ! وماهذه الغابات الكثيفة الجاثمة حول القصر ؟ !

جنفييف — لما وطئت هذا المكان أثار هذا المنظر العجب فى نفسى وأخذ منها مأخذا شديدا . إنه رائع مخوف يغرق كل من رآه فى التأمل العميق . توجد أمكنة لايرى الانسان فيها نور الشمس ولا ضوء القمر ، فاذا ما طال مقامه بها ألفها واطمأن اليها . . . قضيت فى هذا القصر الموحش أربعين عاما أو تزيد قليلا . . . لو نظرت إلى الناحية الأخرى لرأيت نورا ينبعث من ماء البحر

ملیزاند — أسمع حركة قريبة منا

جنفييف — نعم . أحد الناس يسير نحونا . . . آه ! إنه بلياس . . .

مايزال التعب باديا فى أسارير وجهه وفى خطواته المتثاقلة . . . لقد انتظركما طويلا

مليزاند — إنه لم يرنا

جنفييف — أعتقد أنه رآنا ، ولكنه لايعرف مايجب عليه عمله ، بلياس ، بلياس ، أهذا أنت ؟

بلياس — نعم . إنى آت من شاطىء البحر .

جنفييف — ونحن أيضا كنا نبحث عن مكان ينعم بشىء من النور ، ولكننا لم نجد مكانا أقل ظلمة من هنا . كنا نرجو أن نجد البحر منيرا فألفيناه قاتما مكفهرا . . .

بلياس — ستهب الليلة عاصفة كما هبت من قبلها عواصف فى الليالى القليلة الماضية . . . ومع ذلك أرى الجو هادئا فى هذا المساء ، والسماء مصحية والبحر ساكنا لاتعروه رعدة ولاتعلوه موجة ، قد يركب البحر الليلة إنسان وهو مطمئن الخاطر مثلوج الفؤاد ، حتى إذا بعد عن الشاطىء ، دهمته العاصفة ، وحطمت السفينة ، وابتلعه اليم فى جوفه . . .

مليزاند — أرى شيئا يخرج من المرفأ

بلياس — لابد ان يكون هذا الشىء سفينة كبيرة . . الانوار عالية ، وسنرى السفينة بعد قليل حينما تبلغ الموضع الذى فيه أشعة الضوء

جنفييف — قد يحجبها عن عيوننا الضباب الراقد على سطح البحر فلا نراها

بلياس — كأنى بالضباب يعلو فى دءوب وبطء . . .

مليزاند — نعم . . . أرى الآن على البعد نورا ضئيلا لم أره قبل ذلك .

بلياس — هذا هو ضوء منارة . . ، توجد منارة أخرى لم نرها بعد

مليزاند — بلغت السفينة الحيز المضىء . . . انها الآن بعيدة عن الشاطىء

بلياس — إنها تبتعد مسرعة وقد نشرت كل شراعها .

مليزاند — وهى التى جازت بى الى المرفأ . . . ان لها شراعا كبيرا أعرفه حق المعرفة

بلياس — سيباغتها الليلة هياج البحر !

مليزاند — ولماذا أقلعت فى هذا المساء ؟ . . . اختفت عن الأبصار أو كادت . قد تحل بها كارثة فى وحشة الظلام !

بلياس — الليل يبسط على الكون ظلمته فى سرعة غريبة (سكوت)

جنفييف — حان الوقت لدخول القصر . بلياس ، دل مليزاند على الطريق . إنى ذاهبة لأرى (اينيولد) الصغير وأمكث بجانبه بعض لحظات (تخرج)

بلياس — لم أعد أرى شيئا على سطح البحر :

مليزاند — أرى أنوارا أخرى . . .

بلياس — إنها المنائر الأخرى . . . أتسمعين صوتا يأتينا من البحر ؟ إنه زفيف الرياح وقد مسحت عن عينيها فتور الكرى . . . هاتى يدك . . . الطريق من هنا

مليزاند — أنظر . . . أنظر . . . فى يدى أزهار كثيرة !

بلياس — أعتمدى على ذراعى . . . ان الطريق كثيرة الالتواء شديدة الانحدار ، والظلام حالك متكاثف . . . فى نيتى الرحيل غدا

مليزاند — أوه ! لماذا تنتوى الرحيل ؟ (يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الأول :

(عين ماء فى الحديقة . يدخل بلياس ومليزاند)

بلياس — تجهلين دون ريب هذا المكان الذى قدتك اليه . . . انى أفزع اليه فى كثير من الأوقات فرارا من شدة القيظ . . . الحر خانق اليوم ، حتى تحت ظل الشجر !

مليزاند — أوه ! الماء صاف !

بلياس — وهو بارد منعش كعهدى به أيام الشتاء . . . هذه عين ماء عتيقة أهملت منذ زمن بعيد ، وأظنها كانت تأتى بالمعجزات . . . كانت تشفى الأعمى ولذلك مايزال الناس يطلقون عليها « عين العمى »

مليزاند — ولم تعد تنتج هذا الاثر ؟

بلياس — من يوم أن ضعف بصر الملك وشارف العمى لم يعد يتردد على العين أحد

مليزاند — ما أثقل الوحدة على صدر الانسان فى هذا المكان ! إنى لاأسمع فيه حسا ولا ركزا !

بلياس — السكون التام الغريب يألف هذا المكان فى كل حين ويستطيب صحبته فى كل آن . . . أنظرى الى الماء ، إنه فى سبات عميق . . . اجلسى إذا شئت على هذا المرمر الذى يحيط بالعين . . . فوق رأسك شجرة الزيزفون لاتخترقها أشعة الشمس

مليزاند — سأرقد على المرمر . . . إن شوقاً ملحاً يدفعنى إلى رؤية القاع

بلياس — لم ير قط . . . قد تبلغ العين فى عمقها البحر

مليزاند — قد يرى الانسان قاعها اذا وضح فيه شىء يلمع

بلياس — لاتنحنى هكذا !

مليزاند — أرغب فى لمس الماء

« يتبع »

لغو الصيف

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

كورتلين اليه ، وأى سبب بين هذا الشاب المصرى وهذا النابغة الفرنسى؟ قال : بينهما سبب لاأدرى الآن ماهو ، ولعله إن صدقت الظنون وتحققت الآمال أن يكون التفوق والنبوغ ، ولعل الله قد أذن لمصر أن يكون فيها كورتلين كما كان فى فرنسا . قالت : فانى لا أحب الاطالة ، ولا أحب الالتواء ، فأوضح وأبن عما تريد . قال توفيق الحكيم يا آنسة شاب مصرى ، ظهر فجأة بقصة تمثيلية أنت أحد أشخاصها. قالت: أنا أحد أشخاصها! ماذا تقول؟ قال: نعم! لأن أشخاصها أهل الكهف ، ولست أريد أن أطيل فى تقريظ هذه القصة. وانما أقول إنى قرأت فى هذا العام قصصا تمثيلية كثيرة ظهر بعضها بالفرنسية ، وبعضها بالانجليزية ، وبعضها بغير هاتين اللغتين . وترجم اليهما أو الى إحداهما ، فكانت قصة أهل الكهف هذه خير ما قرأت من هذه القصص كلها وأحسنها موقعا من نفسى ، وأشدها إثارة لاعجابى . ولست أدرى أمعجب أنا بموضوعها أم بأسلوبها السهل ، أم بألفاظها الساذجة أم بتحليلها الدقيق أم بهذا كله ، ولست أشك فى أن إعجابى بها سيضاعف منذ اليوم لأنك أحد أشخاصها . ومن يدرى لعلك برسكا التى صورها توفيق الحكيم ! قالت: وقد ضاقت بهذا المزاح: لو كنت برسكا لما جهلت مبدعى! قال: كم بين الناس يعرفون مبدعهم؟ قالت: وقد كتب صاحبك هذه القصة باللغة العامية ؟ قال: لا ، بل بلغة لاتبعد كثيراً عن العامية. وليست هذه القصة هى التى ذكرت حين تحدثنا عن كورتلين ، فان لتوفيق الحكيم قصة أخرى غير تمثيلية سماها عودة الروح . والغريب أن أهل الكهف ظفرت أول الامر باعجاب الشباب والشيوخ جميعا . فلما ظهرت عودة الروح تنكر لها بعض أعلام البيان فى مصر ، ودعا هذا التنكر بعضهم إلى أن يراجعوا إعجابهم بأهل الكهف فيخففوا منه ويقتصدوا فيه . اما الشباب فاضافوا إعجابا إلى إعجاب . ورضى الى رضى وبدؤا يتخذون هذا الكاتب الشاب قدوة لهم ومثالا. قالت: وماذا ينكر أعلام البيان من عودة الروح ؟ قال لغتها ، فهى ككتاب كورتلين أبطالها شعبيون فينطقهم المؤلف بلغة الشعب. ولعله يغرق فى ذلك بعض الشىء ، واعلام البيان يكرهون ذلك ويحرصون على الا تظهر آيات البيان الا فى اللغة الفصحى ، وهم يضنون بهذا الشاب على أن ينفق جهده الخصب ويضيع وقته العزيز فى هذه اللغة المبتذلة ، قالت: ولكن القصة نفسها ما رأيهم فيها؟ فليست القصة ألفاظا خالصة ولا معانى خالصة ، وانما هى قوام من الالفاظ والمعانى ، ولابد من أن يستقيم لها جمال اللفظ وجمال المعنى ، فهب ألفاظها رديئة عند أعلام البيان فما حكمهم فى معانيها ؟ قال: قرأها بعضهم فلم يظهر رضى ولا سخطا ، ولم يستطع بعضهم الآخر أن يقرأها فعابها لأن لغتها العامية صرفه عن قراءتها . قالت : فهذا بخل بالانصاف وتجاوز للقصد ، وقد شوقتنى الى أن اقرأ هذين الكتابين . ولكن هلا حدثتنى عنهما حين كنا فى القاهرة . قال ومتى حدثتك فى القاهرة عما كنت اريد أن احدثك عنه ، انما نلتقى فنمضى الاحاديث بيننا كما تريد هى لا كما نريد نحن ، ولولا أنى سألتك عن هذا الكتاب الذى تقرئين لما جرى بينك وبينى ذكر لتوفيق الحكيم ، وهل فرغنا من الحديث عن أنفسنا لنتحدث عن هذا الاديب الجديد . قالت كم كنت احب أن أظفر بكتابيه لأفرّ اليهما منك ومن نفسى فقد يخيل الى أنا نسرف فى الحديث عن أنفسنا ونغلوا فى الاعراض عن غيرنا . وقد يخيل الى أن بين هؤلاء الكتاب الناشئين من هم احق بعنايتك وعنايتى من هذا اللغو الذى نخوض فيه كلما التقينا . قال : وعلى ذكر كورتلين وتوفيق الحكيم ، ما رأيك فى هذا الكتاب الفرنسى الجديد الذى كثر الكلام فيه ، واختلف فيه أدباء فرانسا كما اختلف أدباء مصر فى كتاب توفيق الحكيم ؟ قالت: وماذاك أيضا ؟ قال ماذا ، ألم تقرئى كتاب سيلين الذى سماه سياحة فى آخر الليل ؟ ألم تقرئى ما كتب النقاد حول اللغة التى ألف فيها هذا الكتاب ؟ قالت لا ، قال وهو يضحك: معذرة فقد أنسيت أنك نائمة ، وأنك من أهل الكهف . قالت : وقد رمته بكتابها مغيظة منه محنقة عليه : هبنى نائمة فما لك لاتوقظنى وما اختلافك الى فى القاهرة ، وما لزومك لى فى نيس ، وما مرافقتك لى فى هذا القطار على كره منى. قال وقد أغرق فى الضحك : انما رافقتك فى القطار يا آنسة لأوقظك ، ولأخرجك من الكهف ، ولأنبئك بأن فى مصر شابا يقال له توفيق الحكيم كتب قصة يقال لها أهل الكهف ، وأخرى يقال لها عودة الروح . وبأن فى فرانسا أديبا جديدا يسمى نفسه سيلين ، وقد أظهر كتابا « اسماه سياحة فى آخر الليل » اختلف الناس فيه اختلافاً كثيراً . قالت : فيم اختلفوا قال: فى لغته فهو أيضاً مسرف فى حب العامية ، وأنا معجب بكتابه اعجاباً شديداً ، مبغض للغته بغضا شديداً لأنه يتعمدها تعمداً ولا تدفعه اليها الحاجة ولا الضرورة ولا الرغبة فى التصوير الصادق والتعبير الصحيح . وكل هذه الكتب عندى أستطيع أن أعيرك اياها لتقرئى وتحكمى ثم لنتحدث بعد ذلك . قالت : فابدأ بقصة أهل الكهف فأعرنى إياها منذ الآن فاسأنفق ليلتى بينها وبين كورتلين . قال: ولكن أليس خيراً منها ومن كورتلين ان ننفق ساعة أو بعض ساعة ؛ لا أقول فى الحديث فقد يظهر أنك سئمته وضقت به ، وانما أقول فى العشاء فانى اسمع جرس الخادم يدعو اليه ؟ !

طه حسين